الرَّابطَة الإيمَانِيَّة

يَرْتَبِطُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِرَوَابِطٍ وَصِلَاتٍ وَوَشَائِجَ شَتَّىٰ مِنْهَا: النَّسَبُ وَالمَصَالِحُ وَالظُّرُوفُ، وَالرَّغَبَاتُ وَالأَهْوَاءُ المُشْتَرَكَةُ، وَيَدْخُلُ فِيهَا الأَفْكَارُ البَشَرِيَّةُ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العَصَبِيَّاتِ الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهَا غَالِبُ البَشَرِ: يُقَاتِلُونَ وَيُسَالِمُونَ، وَلَكِنَّ كُلَّ هَذِهِ الرَّوَابِطِ سُرْعَانُ مَا تَنْفَصِمُ وَتُنْقَضُ، وَتَنْقَلِبُ -أَحْيَانًا- إِلَىٰ النَّقِيضِ؛ بَلْ إِلَىٰ عَدَاوَاتٍ وَثَارَاتٍ بَيْنَ حُلَفَاءِ الأَمْسِ رُبَّمَا تَكُونُ أَشَدَّ مَرَارَةً مِنْ كُلِّ العَدَاوَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهَا بَيْنَ أَعْدَاءِ الأَمْسِ ... وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهَا أَهْوَاءٌ تُؤَجِّجُهَا وَتُحَرِّكُهَا الشَّيَاطِينُ!

***

وَنَظْرَةٌ إِلَىٰ تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ فِي نَشْأَتِهَا تُرِينَا عَلَامَ يَجِبُ أَنْ يَلْتَقِيَ النَّاسُ؟

فَإِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا بِجَمِيعِ أَلْوَانِهَا وَأَجْنَاسِهِمْ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَصْلٍ وَاحِدٍ، لَا فَضْلَ لِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فَهُمْ جَمِيعًا يَرْجِعُونَ لِأَبٍ وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَهُ؛ فَكَانَ مِنْهُمَا الذُّرِّيَّةُ الَّتِي تَكَاثَرَتْ فَكَانَ مِنْهَا كُلُّ البَشَرِ؛

فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(١) «إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ دِينَكُمْ وَاحِدٌ، أَبُوكُمْ آدَمُ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ.»، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء/ ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأَنْعَام/ ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأَعْرَاف/ ١٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزُّمَر/ ٦].

***

فَكُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، فَالجَمِيعُ يَرْجِعُ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ إِلَى التُّرَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرُّوم/ ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن

---

(١) رَوَاهُ البَزَّارُ (ح ٢٠٤٤، ٣٥٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ (ح ٢٠٤٣، ٣٥٨٤)، وَكَمَا فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٤٥٨٦)، وَانْظُرْ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ (ح ٣٢٧٠)، وَحَسَّنَهُ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٧٨٦٧)، وَانْظُرْ حَدِيثَ جَابِرٍ فِي "الدُّرِّ المَنْثُورِ" (٦/ ٩٨).

نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فَاطِر/ ١١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غَافِر/ ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأَنْعَام/ ٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحِجْر/ ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المُؤْمِنُون/ ١٢- ١٤].

***

فَكَانَتِ البَشَرِيَّةُ فِي طَورِهَا الأَوَّلِ مُجْتَمَعٌ تَحْتَ رَابِطَةٍ وَاحِدَةٍ: أَصْلٌ وَاحِدٌ هُوَ التُّرَابُ، وَأَبٌ وَاحِدٌ هُوَ التُّرَابُ، يَجْمَعُهُمْ دِينٌ وَاحِدٌ هُوَ دِينُ أَبِيهِمْ آدَمَ دِينُ الإِسْلَامِ، حَتَّى دَبَّتْ فِيهِم الأَهْوَاءُ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ مَذَاهِبَ شَتَّى وَأُمَمًا مُخْتَلِفَةً، وَتَعَدَّدَتِ الآلِهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ، فَبَعَثَ ُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيَعُودَ النَّاسُ إِلَى حَظِيرَةِ الحَقِّ وَإِلَى الدِّينِ الوَاحِدِ الَّذِي كَانَ يَجْمَعُهُمْ قَبْلَ

اخْتِلَافِهِمْ وَبَغْيِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البَقَرَة/ ٢١٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يُونُس/ ١٩].

وَمَضَىٰ النَّاسُ فِي رَكْبِ الحَيَاةِ وَانْتَشَرُوا مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَىٰ الآخَرِ إِلَّا بِتَقْوَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرَات/ ١٣].(١)

***

فَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا لِبُعْدِهِمْ عَنِ الدِّينِ الحَقِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ

(١) وَانْظُرْ: تَفْسِير الدُّرّ المَنْثُور (٦/ ٩٧ - ٩٩).

أَبُوهُمْ آدَمُ وَالَّذِي جَاءَتْ بِهِ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ جَمِيعًا: اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل/ ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأَنبِيَاء/ ٢٥]، فَالبُعْدُ عَنْ هَذَا المَنْهَجِ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَقْطِيعِ الأَوَاصِرِ وَالرَّوَابِطِ حَتَّىٰ الأَرْحَام؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [مُحَمَّد/ ٢٢].

***

فَالرَّابِطَةُ الحَقَّةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَفَيَّأَ ظِلَالَهَا النَّاسُ مَا هِيَ إِلَّا رَابِطَةُ الإِيمَانِ، فَالإِيمَانُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَجْمَعُ النَّاسَ وَيُطَهِّرُهُمْ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ: تَصَوُّرٌ وَاحِدٌ، وَدَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ، إِنَّهُ سَبِيلُ اللهِ الَّذِي تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ القُلُوبُ وَالعُقُولُ وَالأَرْوَاحُ لِتَقُومَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الإِيمَانِ كَأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأَنبِيَاء/ ٩٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المُؤْمِنُون/ ٥٢]، وَأَيُّ انْحِرَافٍ فِي التَّصَوُّرِ أَوَ النَّهْجِ أَوِ العِبَادَةِ، وَإِطَاعَةُ الهَوَىٰ وَالشَّهَوَاتِ، وَالوُقُوعُ فِي الشُّبُهَاتِ؛ يُؤَدِّي إِلَىٰ الِانْحِرَافِ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ الأَوْحَدِ، فَقَدْ خَطَّ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطًّا بِيَدِهِ؛ ثُمَّ قَالَ:(١) «هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا» ، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأَنعَام/ ١٥٣].

***

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى.

[الأنفال/ ٧٢- ٧٥]، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التَّوْبَة/ ٧١].

***

فَمُعَسْكَرُ أَهْلِ الإِيمَانِ وَلِيُّهُ اللهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البَقَرَة/ ٢٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عِمْرَان/ ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المَائِدَة/ ٥٥، ٥٦]، وَأَيْضًا أَوْلِيَاؤُهُمُ المَلَائِكَةُ، فَالمَلَائِكَةُ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ المَوْتِ: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [فُصِّلَت/ ٣١].

وَمُعَسْكَرُ أَهْلِ الإِشْرَكِ وَلِيُّهُ الشَّيْطَانُ؛ كَمَا مَرَّ بِنَا فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [البَقَرَة/ ٢٥٧]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النِّسَاء/ ٧٦]، وَكَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِأَبِيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مَرْيَم/ ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأَعْرَاف/ ٢٧]، وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجَاثِيَة/ ١٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأَنْفَال/ ٧٣].

***

وَلِذَلِكَ؛ فَلَا وِلَايَةَ بَيْنَ الْمُعَسْكَرَيْنِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عِمْرَان/ ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النِّسَاء/ ١٣٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النِّسَاء/ ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟

ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المَائِدَة/ ٥١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المَائِدَة/ ٥٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المُمْتَحَنَة/ ١]، وَلَا مُحَابَاة فِي هَذِهِ الوِلَايَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التَّوْبَة/ ٢٣].

***

وَلِذَلِكَ؛ جَعَلَ اللهُ رَابِطَةَ الإِيمَانِ أُخُوَّةً فِي اللهِ دُونَهَا أَيُّ رَابِطَةٍ أُخْرَىٰ، يَنْشَأُ عَنْهَا حُقُوقٌ وَوَاجِبَاتٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحُجُرَات/ ١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عِمْرَان/

١٠٣]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[1] «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**».

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَذِهِ الرَّابِطَةِ وَنَعُضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَنُحَافِظَ عَلَى هَذِهِ الأُخُوَّةِ الَّتِي امْتَنَّ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا.

***

(١) حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.